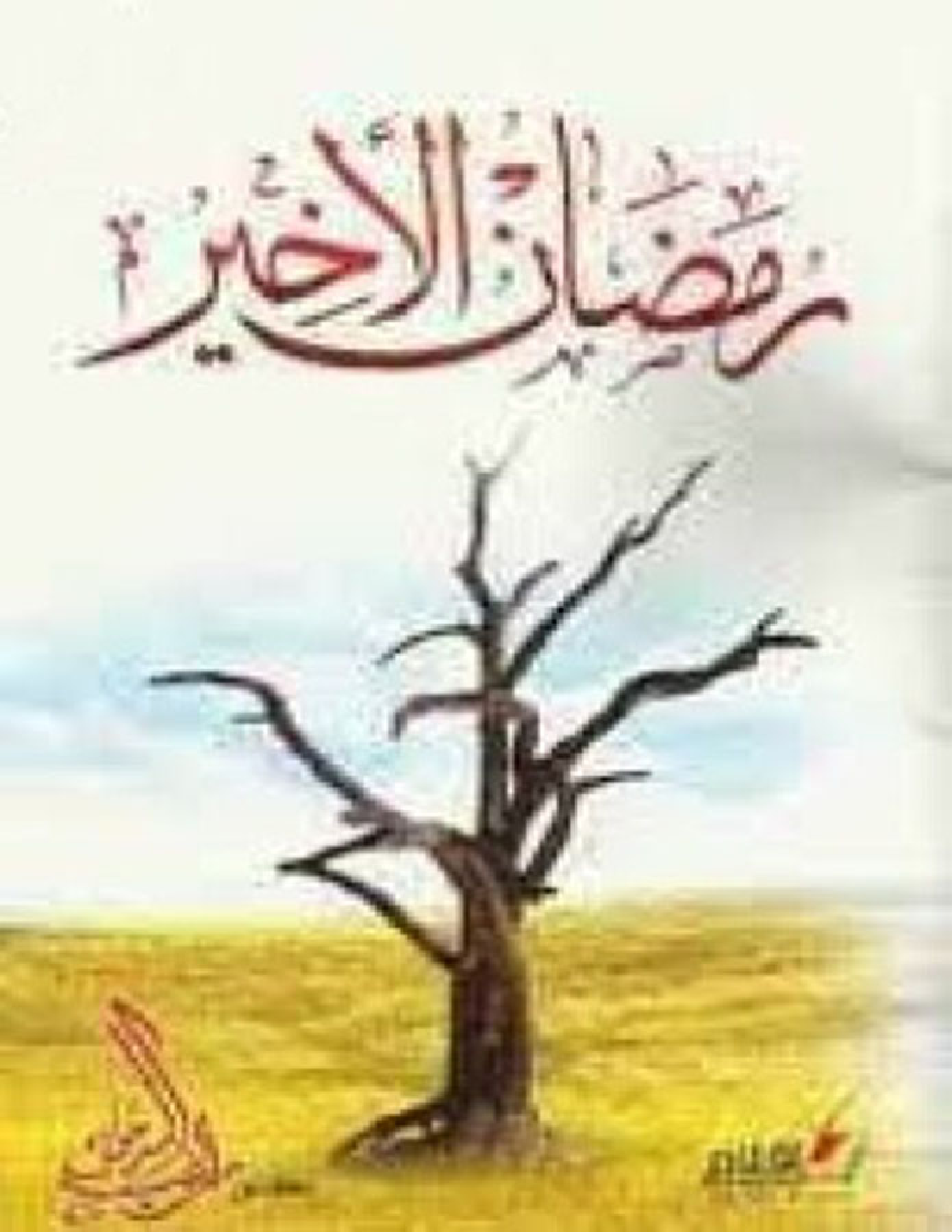

رمضان الأخير

رمضان الأخير

د. راغب السرجاني

يتحدث الكاتب الكبير د. راغب السرجاني في كتابه رمضان الأخير عن شهر ينزل الله فيه من الخيرات لو يعلم الأنسان المسلم فضلها لتمنى السنه كله خيرات ما فيه لقول النبي (لو تعلم أمتي مافيه لتمنت السنه كلها كذلك).فيبين الكاتب فضله والرحمات التي ينزلها المولى على عباده. كما يتناول الكتاب الإجابة عن هذا السؤال المهم: ماذا أفعل لو أني أعلم أن هذا هو رمضاني الأخير؟!

مقدمة

كثيرا ما تضيع منا الأيام الأولى في رمضان؛ لأننا لم نحسن الاستعداد لها، فلا نشعر بقيمة الصيام، ولا بحلاوة القرآن، ولا بخشوع القيام.. وهذه لحظات غالية، وأوقات فريدة ينبغي للمسلم الفاهم أو المسلمة الواعية ألا يفرط فيها أبدا.

ومن هنا يسعى الخطباء والدعاة والعلماء والمتحدثون إلى وضع برامج في شعبان؛ من أجل شحذ الهمم، وتنشيط الكسالى؛ مثل: الإكثار من الصيام، وقراءة القرآن والقيام لدخول رمضان. وقد تعودنا على هذه الأمور، فلا تضيع منا دون انتباه.. وهذا لا شك شيء طيب.. بل رائع.. فاللاعب الذي لا يقوم بعملية الإحماء والتدريب قبل المباراة لا يمكن أن يستمر فيها بلياقة جيدة، وهكذا -أيضا- المسلم الذي «يفاجأ» برمضان فإنه لا يحسن استخدام كل أوقاته، واستغلال كل لحظاته.

لكني أرى أن الأهم من ذلك، والذي قد نغفله كثيرا، هو الاستعداد «ذهنيا» لهذا الشهر الكريم.. بمعنى أن تكون مترقبا له، منتظرا إياه، مشتاقا لأيامه ولياليه.. تعد الساعات التي تفصل بينك وبينه، وتخشى كثيرا ألا تبلغه!

هذه الحالة الشعورية صعبة، ولكن الذي يصل إليها قبل رمضان يستمتع حقيقة بهذا الشهر الكريم؛ بل ويستفيد -مع المتعة- بكل لحظة من لحظاته.

وقد وجدت أنه من أسهل الطرق للوصول إلى هذه الحالة الشعورية الفريدة أن تتخيل بقوة أن رمضان القادم هو رمضانك الأخير في هذه الدنيا!

ومن أجل ذلك كان هذا الكتاب..

قريب مهما بعد

إن رسولنا الأكرم أوصانا أن نكثر من ذكر الموت، فقال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات(1)»(2) . ولم يحدد لنا وردا معينا لتذكره، فلم يقل مثلاً: تذكروه في كل يوم مرة، أو في كل

أسبوع مرة، أو أكثر من ذلك أو أقل، ولكنه ترك الأمر لنا، نتفاوت فيه حسب درجة إيماننا؛ فبينما لا يتذكر بعضنا الموت إلا عند رؤية الموتى، أو عيادة المرضى، أو عند المواعظ والدروس، تجد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء».

---

(١) هاذم اللذات: بمعنى قاطعها، والمراد الموت، وهو إما لأن ذكره يزهد فيها، أو لأنه إذا جاء ما يبقى من لذائذ الدنيا شيئا. انظر: حاشية السندي عل النسائي ٤/٤ .

(٢) الترمذي:كتاب الزهد، باب ماجاء في ذكر الموت (٢٣٠٧)، وقال: حديث حسن. والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد (٧٩١٢)، وابن حبان (٢٩٩٢)، وقال الألبافي: حسن صحيح. انظر: صحيح الجامع (١٢١٠).

وقد قال هذه الكلمات الواعية تعليقا على حديث الحبيب صلى الله عليه وسلم : «كن في الدنيا كآنك غريب، أو عابر سييل»(١)

وفي إشارة من الرسول الكريم الى تذكر الموت كل يومين قال: «ما حق امري مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيه مكتوبة عنده (2)

ومن أجل التنبيه المستمر أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعقد لنا مقارنة بين أمل الإنسان في الحياة، وتنوع وتشعب طموحاته، وبين أجله الذي قدره الله له؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً فقال: «هذا الأمل و هذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»(٣)

فالإنسان يحلم ويخطط؛ فهذا هو طول الأمل الموجود في فطرته ولا عيب فيه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) (٦٠ ٥٣).
(٢) البخاري: كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وصية الرجل مكتوبة عنده» (٢٥٨٧)، ومسلم: كتاب الوصية (١٦٢٧).
(٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، (٦٠٥٥).

«الشيخ يكبر ويضعف جسمه، وقلبه شاب على حب اثنين: طول العمر والمال» . ولكن ينبغي عليه إلى جانب ذلك أن يتذكر أن الموت قريب؛ فيحسن العمل؛ فالموت قريب من الإنسان، وإن لم يدر به، أو لم ير ملك الموت؛ بل لو تحصن في أمنع الأماكن فسيأتيه الموت؛ فالله تعالى يقول: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم في بروج مشيدة) النساء 78
والشاعر الشهير كعب بن زهير يقول:
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماعلى آلة حدباء(٢)محمول(٣)
وهكذا قال أيضا أبو العتاهية:
نسيت الموت فيما قد نسيت كأني لا أرى أحدا يموت
أليس المؤت غاية كل حي فما لي لا أبادر مايفوت(١)؟!

---

(١) مسند أحمد - طبعة مؤسسة قرطبة (٨٤٠٣) . تعليق شعيب الأرناءوط: صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير فليح بن سليان فمن رجال البخاري. وحسنه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (١٩٠٦).
(٢) آلة حدباء: يقصد النعش. ابن منظور: لسان العرب، مادة (حدب)، ١/٣٠٠.
(٣) ديوان كعب بن زهير: تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، ط١:١٤٢٩ه=٢٠٠٨م، ص١٣٢.

وقبلهم فقه الصديق أبو بكر رضي الله عنه هذه الحقيقة ووعاها؛ فكان يقول:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

وقد كان ذكر الموت واستحضاره في نفوسهم دأب الصالحين من الصحابة ومن بعدهم؛ فهذا الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أضحكني؛ مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس مغفولا عنه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه(3) .

فأبو الدرداء رضي الله عنه ينظر بعين البصيرة إلى واقع البشر في الدنيا؛ فهم يطلبون الدنيا بينما الموت ساع خلفهم يوشك أن يقبض أرواحهم.

---

(١) ديوان أبي العتاهية: دار بيروت للطباعة والنشر لبنان، ١٤٠٦ه =١٩٨٦م،ص٧٢.

(٢) البخاري: أبواب فضائل المدينة، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة، (١٧٩٠)، والنسائي(٧٤٩٥)،وأحمد(٢٤٠٥).

(٣) ابن المبارك: الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية -بيروت،ص٨٤.

وكان أبو ذر يقول؛ ألا أخبركم بيوم فقري؟ يوم أوضع في قبري(١)

وإذا كان هذا هو يوم فقر الزاهد العابد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، الذي لما تباطأت به دابته وهو سائر إلى غزوة تبوك تركها وسار على قدميه؛ فقطع مئات الأميال؛ فكيف يكون بالنسبة للمقصرين ؟ !   .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى أحدا يحمل جنازة يقول لها: ((امضوا فإنا عل الأثر))(٢)٠

ليس مثل البعض الذي يتبع الجنائز وهو يفكر في لذات الدنيا التي تنتظره بعد الفراغ من الجنازة، بل هو مستحضر لحقيقة أننا كلنا ساعون لمصيرنا بين يدي الله تعالى.

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، ٢١/٢، ٤٨٦/٤، وابن الجزري: الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١:١٤٠٦ه =١٩٨٦م، ص٦٢.
(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٨٤/٤ ، وابن هناد السري: الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي-الكويت،ط١:١٤٠٦ه،ص٩.

ومن بعده قال الحسن البصري رحمه الله : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا(1).
ولهذا عاش الحسن حزينا لا يعرف معنى للفرح إلا في الآخرة عند النجاة ودخول الجنة مع النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان مكحول إذا رأى جنازة يقول: اغدوا فإنا رائحون، موعظة بليغة قليلة، وغفلة شنيعة، يذهب الأول، والآخر لا يعتبر(2)
وعلى هذا النهج عاش الربيع بن خثيم رحمه الله، الذي كان يعتبر الموت خير رفيق؛ فيقول: ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت. وكان يقول: لا تشعروا بي أحدا وسلوني إلى ربي سلا (٣).

---

(١) أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٥/٤.
(٢) المصدرالسايق، ٤٨٤/٤٠
(٣) أحمد بن حنبل: الزهد، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط١

١٤٢٠:ه-١٩٩٩م،ص ٢٧٤، ٢٧٥، وأبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين، ٤٥١/٤.

ولهذا كان يعد نفسه لرحلة الموت، وكان يصنع صنيعا ليظل ذاكرا إياه ولا يغفل عنه؛ فكان قد حفر قبرا في داره ينام فيه كل يوم ليذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد(1).
وكان محمد بن واسع رحمه الله إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: ماظنك برجل يرحل في كل يوم إلى الآخرة مرحلة(2)؟ ا
هكذا كان ذكره للموت وإدراكه لحقيقة أنه يقترب منه كل يوم؛ بل كل ساعة، ومن كان هذا فهمه عرفت كيف كان يعيش ساعيا وراء الصالحات والطاعات.
ومثله كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة

---

(١) ابن أبي الدنيا: العزلة والانفراد، مكتبة الفرقان - القاهرة، ص ٥٨، وأبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٥١/٤.
(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ه = ١٩٧٤م، ٣٤٨/٢، وأبو حامد الفزاي: إحياء علوم الدين، ٢٣٠/٢ .
(٣) أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٥١/٤.

وعندما كان الناس ذوي قلوب منتبهة للموت وقدومه؛ كان حادث الموت ينزل على قلبهم مزلزلا؛ فكان الأعمش يقول: كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يعزي؛ لأن الحزن قد عم الناس كلهم .

وكان ثابت البناني يقول: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا(2).
وكانت وصية الصالحين دائما للمسلمين أن يكثروا من ذكر الموت؛ فعن عباس بن حمزة قال: دخلت على ذي النون المصري وعنده نفر من المريدين وهو يقول لهم: «توسدوا الموت إذ نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذ قمتم، كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا، ولا بد لكم من الآخرة»(3).

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢١٠/٢، ٤٨٤/٤،وأبو شامة: الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى - القاهرة، ط١:١٣٩٨ه= ١٩٧٨ م، ص٩٣.
(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٨٤/٤ .
(٣) البيهقي: الزهد الكبير، ص٢٦١.

وكان الربيع بن خثيم يقول: أكثروا ذكر هذا الموت يا الذي لم تذوقوا قبله مثله(1).
وكان عون بن عبد الله يقول: كم من مستقبل يوما لا يستكمله، ومنتظر غدا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره(2).
وقال أبو عبد ربه لمكحول: يا أبا عبد الله أتحب الجنة؟ قال: ومن لا يحب الجنة؟ قال: فأحب الموت؛ فإنك لن ترى الجنة حتى تموت(3) .
وقد نبه الصالحون إلى ثمرات ذكر الموت؛ فقال رجاء ابن حيوة: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح(4).

---

(١)أبونعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١١٢/٢ ،وابن أبي شيبة: المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض،ط١:١٤٠٩ه، ٢٢٨/٧.

(٢) البيهقي: الزهد الكبير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت،ط٣: ١٩٩٦ م، ص٢٢٧.
(٣) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٧٧/٥ .
(٤) عبد العزيزالسلمان: موارد الظمآن لدروس الزمان ٢١٦/٣.

وقال بشر بن الحارث: إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفو الدنيا وشهواتها (1)
وكذلك قال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت والوقوف بين يدي اللم تعالى(2).
وقال كعب الأحبار: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها(3).
ولكل ذلك حرص الصحابة على الاتعاظ بالموت، ومحاولة تلافي التقصير في العمل؛ فقد نظر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين؛ فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما(٤).
فهم لم يعتبروا الموت وخشيته معوقا للإنتاج والعمل، ولم يعتبروه داعيا إلى ترك السعي وطلب العلم، وإنما فهموه دافعا إلى السعي والإنتاج حتى يأتي الموت حين يأتي

---

(١) ابونعيم الأصبهان حلي الأوليام وطبقات الاغتام ٣،٧/٨
(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٥١/٤.
(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤٤/٦، وأبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤٥١/٤.
(٤) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ٤٨٦/٤ .

وقد استعدوا له، واستكثروا من الحسنات والأعمال الصالحات؛ فقد روى المعافى بن زكريا عن بعض الثقات أنه كان بحضرة

أبي جعفر الطبري رحمه الله قبل موته، وتوفي بعد ساعة أو أقل منها، فذكر له عن جعفر بن محمد أنه قال: إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على حائط البيت ثم قل: يا سابق الفوت وسامع الصوت ويا كاسي العظام لحما بعد الموت ثم ادع بعده بما شئت.

فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه، فقيل له: أني هذه الحالة؟!

فقال: ينبغي للإنسان ألا يدع اقتباس العلم حتى الممات(1)!!

وعن فرقد (إمام مسجد البصرة) أنهم دخلوا على سفيان الثوري في مرض موته، فحدثه رجل بحديث فأعجبه، فضرب سفيان بيده إلى تحت فراشه، فأخرج ألواحا فكتبه، فقالوا له: على هذه الحال منك؟!

---

(1) ابن عساكر : تاريخ دمشق 199/52

فقال: إنه حسن؛ إن بقيت فقد سمعت حسنا، وإن مت فقد كتبت حسنا (1)

ويروي القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي موقفا جميلاً لأستاذه الإمام أبي يوسف القاضي (2)، يقول القاضي إبراهيم: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده، فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم؛ ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحالة؟! قال: ولا بأس بذلك؛ ندرس لعله ينجو بها ناج! ثم قال: يا إبراهيم، أيما أفضل في رمي الجمار -أي في مناسك الحج- أن يرميها ماشيا أو راكبا؟ قلت: راكبا. قال: أخطأت. قلت: ماشيا. قال: أخطأت. قلت: قل فيها، يرضى الله عنك!! قال: أما من كان يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه ماشيا، وأما ما كان لا يوقف عنده، فالأفضل أن يرميه راكبا.

---

(١)أبو نعيم: حلية الأولياء ٦٤/٧.

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، صاحب أبي حنيفة وتلميذه وناشر علمه ومذهبه، وقاضي الخلفاء العباسيين الثلاثة: المهدي والهادي والرشيد، وأول من دعي: قاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، توفي سنة ١٨٢ ه.

قال: ثم قمت من عنده، فما بلغت باب الدار حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمه الله !!
ويروي الفقيه أبو الحسن علي بن عيسى رحمه الله أنه دخل على أبي الريحان البيروني رحمه الله وهو في لحظات حياته الأخيرة، وقد حشرجت نفسه، وكادت أن تخرج، فقال البيروني وهو في هذه الحالة من حالات الاحتضار: كيف قلت لي يوما في مسألة الجدات التي تكون من قبل الأم؟!
يسأله عن مسألة من مسائل الميراث! !
فيقول الفقيه أبو الحسن: فقلت له إشفاقا عليه: أني هذه الحالة؟!
قاللي: يا هذا؛ أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرا لي من أن أخليها وأنا جاهل بها(٢)؟!
فهو يريد ان يتعلم الأمر قبل ان يموت؛ لا لشيء إلا لمجرد العلم

---

(١) ابن معظم شاه الكشميري: العرف الشذي، المحقق محمود أحمد شاكر المدقق مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع،ط١ ، ٣٥٨/٢.
(٢)الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠٧٠/١٠

، وذلك أنه يعلم فضل ومزية تلك المكانة والمنزلة. فأعاد عليه الفقيه أبو الحسن شرح المسألة وعلمه وحفظه، ثم قال: «وخرجت من عنده، وأنا في الطريق سمعت الصراخ))(1)!!

لقد مات أبو الريجان البيروني رحمه الله بعد دقائق من تعلمه المسألة!
فالموت بالنسبة له حياة وعمل صالح يستزيد منه لينفعه يوم الحساب.

---

(١) ياقوت الحموي:معجم الأدباء١٨١/١٧ ،١٨٢ .

رمضان الأخير مطلب نبوي

إذن افتراض أن رمضان القادم هو رمضان الأخير افتراض واقعي جدا، ومحاولة الوصول إلى هذا الإحساس هو مطلب نبوي، والمشاهدات العملية تؤكد هذا وترسخه.. فكم من أصحاب ومعارف كانوا معنا في رمضان السابق وهم الآن من أصحاب القبور! والموت يأتي بغتة، ولا يعود أحد من الموت إلى الدنيا أبدا.. قال تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ** لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) [المؤمنون: ٩٩،١٠٠].
فالعودة من الموت مستحيلة، وكل الذين يموتون يتمنون العودة؛ إن كان مسيئا ليتوب، وإن كان محسنا ليستزيد! فماذا لو متنا في آخر رمضان المقبل؟! إننا -على كل الأحوال- سنتمنى العودة لصيام رمضان بشكل جديد، يكون أكثر نفعا في قبورنا وآخرتنا.. فلنتخيل أننا عدنا إلى الحياة، وأخذنا فرصة أخيرة لتجميل حياتنا في هذا الشهر الأخير، ولتعويض ما فاتنا خلال العمر الطويل، ولتثقيل ميزان الحسنات، ولحسن الاستعداد للقاء الملك الجبار.
هذا هو الشعور الذي معه ينجح إعدادنا وعملنا - بإذن الله - في هذا الشهر الكريم. . وليس هذا تشاؤما كما يظن البعض؛ بل إن هذه نظرة دافعة للعمل، ودافعة -في الوقت نفسه- إلى البذل والتضحية والعطاء والإبداع؛ ولقد حقق المسلمون فتوحات عسكرية كثيرة، ودانت لهم الأرض بكاملها بسبب هذه النظرة المرتقبة للموت، الجاهزة دوما للقاء الله.
وما أروع الكلمات التي قالها سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه لزعيم الفرس هرمز عندما وصف الجيش الإسلامي المتجه إلى بلاد فارس فقال: «جئتك برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة))(1)!!

(١) ابن الجوزي: المتتظم في التاريخ ١٠١/٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٥٤,٦٠

ولقد حقق هؤلاء الرجال الذين يحبون الموت كل مجد، وحازوا كل شرف.. ومات بعضهم شهيدا، وعاش أكثرهم ممكناً في الأرض، مالكا للدنيا، ولكن لم تكن الدنيا أبدا في قلوبهم.. كيف وهم يوقنون أن الموت سيكون غدا أو بعد غد؟!

صلاتي في رمضان الأخير

- الصلاة في المسجد في كل الفروض:

فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلآة الجماعة أفضل من صلاة الفذربسبع وعشرين درجة»(1)

فحرصا على هذه الدرجات لا بد من الحرص على أداء الصلاة في المسجد في جماعة، وليس هذا فحسب فقد توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة المسجد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«والذى نفسى بيده! لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة يؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم .. (2)

---

(١) البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، (٦١٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها،(٦٥٠)، واللفظ له.

(٢) البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، (٦١٨)، واللفظ له، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، (٦ ٥١).

وهذا التهديد الشديد يجب أن ينعكس على مداومة المسلم على الصلاة في بيوت الله في أول الوقت، بل والمحافظة على الصف ا لأول في كل صلاة؛ فعن أي هريرة في أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: «لويعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا .. (1)

- الخشوع في الصلاة:

لو أني أعلم أن هذا هو رمضانى الأخير ما أضعت فريضة فرضها الله علي أبدا، بل ولاجتهدت في تجميلها وتحسينها، ولا ينطلق ذهني هنا وهناك أثناء الصلاة، بل أخشع فيها تمام الخشوع، ولا أنقرها نقر الغراب، بل أطول فيها، بل أستمتع بها.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(2).

---

(١) البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، (٥٩٠)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول... (٤٣٧).

(٢) النسائي: السنن الكبرى، (٨٨٨٧)، وأحمد (١٢٣١٥)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن. وأبو يعلى (٣٥٣٠)، وقال حسين سليم أسد: إسناده حسن. والحاكم (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي: السنن الكبرى، (١٣٢٣٢)، والطبرافي: المعجم الأوسط، (٥٢٠٣)، وقال ان الملقن تعليقا على إسناد حديث النسائي: إسناد صحيح. انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ٥٠/١، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع(٣١٢٤),

ومن أروع الوسائل للوصول إلى الخشوع الحقيقي في الصلاة هو أن نزرع في قلوبنا حب الله جل وعلا. . فإن من طبيعة الإنسان أنه يسعد بلقاء من يحب، بل يبحث عن لقائه ملهوفا، وإذا اقترب موعد اللقاء تراه ينظر إلى عقارب الساعة يريد لها أن تتحرك أسرع، وإذا التقى به أقبل عليه بكل جوارحه، ومهما

طال اللقاء فهو لا يريد له أن ينتهي، بل يريد للزمن أن يتوقف، وعند انتهاء اللقاء يحرص على الارتباط معه بموعد جديد..
هذه طبيعة اللقاء مع من نحب.. إذا حان وقت الصلاة!!
فهل نشعر بهذه المشاعر؟
إن كانت الإجابة: نعم. فلله لحمد والمنة.. فنحن نحب الله..
وإن كنا نتردد في الإجابة، ونلتمس الأعذار والمبررات، فنحن لا نحب الله حباً حقيقياً - ويا للفاجعة -!
إنها كارثة! وأي كارثة!
قال تعالى : قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)
0 هل نسعد بالصلاة كسعادتنا بدخول مال كثير إلى خزانتنا؟
ه هل نخشى عدم قبول الصلاة كخشيتنا من كساد تجارة كبيرة عندنا؟

ه هل نسعد بركعتين في جوف الليل كسعادتنا بانتهاء بناء مسكن لطيف جميل قضينا دهرا في إعداده وتجهيزه؟ مسكن «نرضاه» كما وصف ربنا جل وعلا .
هذه هي المعايير التي وضعها الله جل وعلا لقياس درجة الحب له سبحانه.. وقد وضع هذه المعايير الواضحة والصارمة حتى لا يدعي أحد شيئا باطلا، وحتى لا يعيش الإنسان في وهم كبير أنه يحب الله أكثر من كل شيء، بينما واقع حياته يخالف ذلك ويكذبه.. قال تعالى: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (الحجرات: 14).. فالجميع «يقول»، ولكن القليل هو الذي «يؤمن»، و«يحب»، و«يطيع))، و« يجاهد»..
فلنقف وقفة مصارحة!

ولنجب عن هذه ا لأسئلة السابقة بشفافية وحرص. .
مرة ثانية.. إن كنا - بهذه المعاير - نحب الله فلله الحمد والمنة..
وإن كانت الأخرى فالعجل.. العجل!

العجل إلى حب الله .
قبل أن يأتي (يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم» (الشعرا ٨٨،٨٩].٠
ولا تنسوا أن القضية قضية إيمان.. ومن قدم حبا على حب الله عز وجل فهو منقوص الإيمان، وعلى شفا حفرة، ولن يذوق حلاوة الإيمان؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«ثلآث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله , وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار . (1)
بل في رواية أخرى ينفي كلية أن يجد حلاوة الإيمان؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لايحبه إلا لله، وحتى أن يقدف في النارأحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» . فهو هنا يقول: » لا يجد أحد.. ».
والكلام قاطع وصارم، وكيف لمن لا يجد حلاوة الإيمان أن يخشع في صلاته؟!

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (١٦) عن أنس بن مالك، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف يهن وجد حلاوة الإيمان، (٤٣).

- طول الدعاء في الصلاة:
فالصلاة فرصة للدعاء المستجاب، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء في مواطن عديدة فيها؛ فمنذ

البداية كان يفتتح الصلاة بالدعاء بعد التكبير، وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم صيغ متنوعة لدعاء الاستفتاح.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبر في الصلاة سكت هنية قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي! أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟
قال: «أقول: اللهم باعذ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كم ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب الحب في الله، (٥٦٩٤) عن أنس بن مالك، وأبو يعلى (٣٢٥٩)، والبيهقي: السنن الكبرى، (٢٠٨٥٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني بين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب» .(3)

---

(١) ذكر الثلج والبرد تأكيدا، أو لأنهما ماءان لم تمسهما الأيدي ولم يمتهنهما الاستعمال، وقيل: عبر بذلك عن غاية المحو؛ فإن الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النقاء. ويحتمل أن يكون المراد أن كل واحد من هذه الأشياء مجاز عن صفة يقع بها المحو وكأنه كقوله تعالى: (واعف عنا واغفر لنا

وارحمنا) [البقرة: ٢٨٦]٠ انظر: العظيم آبادي: عون المعبود، ٣٤٤/٢.
(٢) البخاري: كتاب صفة الصلاة، باب ما يقول بعد التكبير، (٧١١)، و مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، (٩٨ ٥).
(٣) البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، (٦٠٠٧)، وأحمد(٢٤٣٤٦).

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الذكر في الركوع والسجود؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده:
(سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي)(1)
وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالإكثار من الدعاء في السجود؛ لأنه أقرب مكان للعبد من ربه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)(٢).
ولكن لماذا كان الدعاء في السجود أرجى من غيره، وما الحكمة في هذا؟

---

(١) البخاري: كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء في الركوع، (٧٦١)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (٤٨٤).
(٢) مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (٤٨٢)، وأبو داد(٨٧٥)،وانسائي(٧٢٣)،وأحد(٩٤٤٢).

واقع الأمر أن وضع السجود هو أكثر أوضاع الصلاة خضوعا لله عز وجل ، وأكثر المواطن ذلاً له جل جلاله ؛ ففيه تخضع الجبهة التي يعتز بها الإنسان، وتسجد الأنف التي يشمخ بها الناس.. إنه المقام الذي لا يقبل أحد سوي الفطرة أن يفعله إلا لله عز

وجل ، ومن هنا كان هذا أعظم إعلان للعبودية لرب العالمين، وإذا أدرك العبد طبيعة هذه العلاقة فإن إجابة دعائه تكون قريبة؛ ولذلك قال الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) البقرة: ١٨٦، فالله قريب من «عباده»، أما الذي لا يدرك كنه هذه العلاقة فكيف يقترب من الله؟!

غير أن هناك حكمة أخرى جميلة ودقيقة أراها من وراء جعل السجود هو موطن الإجابة الأقرب في الصلاة.. وهي أن السجود هو آخر عمل في الركعة، فكأن كل الركعة في تكبيرها وفاتحتها وقرآنها وركوعها وحمدها، ما هي إلا مقدمة مجدت فيها الله وعظمته حتى وصلت في نهايتها إلى السجود الذي تطلب فيه من الله بغيتك..

ومن هنا جاء حث رسول الله علية لنا على كثرة الدعاء في السجود، وعلى الاجتهاد فيه؛ فقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « .. فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ فقمن(١)أن يستجاب لكم»(2).

فنحن لا ندعو في الركوع، حيث إننا لم نستكمل بعد الأسباب التي تكفل لنا الإجابة، أما إذا قمنا في الركوع وغيره من أركان الركعة بتعظيم الله وتمجيده والاعتذار له، فإن إجابة الدعاء في السجود تكون أقرب، ومن المفيد أن تعرف أن هذه الوصية كانت في أخريات حياة رسول الله يين، وفي مرضه الذي توفي فيه؛ ما يدل على أهميتها القصوى، وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إيصال الخير لنا حتى مع شدة ألمه وتعبه.

ولعل هذا هو السبب -كذلك- في مشروعية الدعاء بعد التشهد الأخير في الصلاة، فمن السنة النبوية أن ندعو في موضعين رئيسين في الصلاة: السجود، وبعد التشهد قبل التسليم .

---

(١) قمن: حقيق وحري وجدير. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٣٠٠/٢، والتروي.- المتهاج، ١٩٨/٤٠

(٢) مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، (٤٧٩)، وأبوداود (٨٧٦)، والنسائي (٢١٨)، وأحمد (١٩٠٠)•

فكما أن السجود هوآخر أعمال الركعة، وجدير أن يستجاب لنا كما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن التشهد هو آخر أعمال الصلاة كلها، وقد عظمنا الله كثيرا في كل أركان الصلاة، فحان وقت الطلب من الله عز وجل؛ ولذلك وردت في السنة النبوية أدعية كثيرة للغاية يقولها المصلي بعد التشهد وقبل أن يسلم.
وكذلك يمكن أن نفهم لماذا جعل الله عز وجل القنوت في صلاة الوتر .. فبعد أن صليت كثيرا من الليل، وعظمت الله عز وجل طويلاً في هذه الركعات جاء وقت الطلب والمناشدة

---

(١) لقوله ا عن الدعاء بعد التشهد: «ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». البخاري: كتاب صفة الصلاة، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، (٨٠٠)، و«ثم يتخير بعد ذلك من المسألة ما شاء». مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، (٤٠٢).
(٢) القنوت هو اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام، والوتر صلاة مخصوصة بعد فريضة العشاء، وسميت بذلك لأن عدد ركعاتها وتر (أي فردية)، وهي آخر الصلاة بالليل. انظر: الموسوعة الفقهية الكوي
ية٢٨٩/٢٧-٢٩،٣٤/٥٧،٦٨،ووهبةالزحيلي: لفقه الإسلامي وأدلته ٨٠٩/١-٨٢٨، وعبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة٣٠٥/١-٣٠٨.

وتأمل صورة من الطلب الذي تقدمه إلى الله عز وجل كما رواها لنا الحسن بن علي رضي الله عنه فقال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، إنك تقضى ولا يقضى عليك، وإنه لابذل من واليت، ولايعز من عادبت، تباركت ربنا وتعاليت»(1). فهنا بعد صلاة الليل كلها، أو حتى بعد صلاة اليوم كله، نختم عبادة اليوم الطويل بدعاء طويل! نطلب الهداية والمعافاة والموالاة والبركة، ولم يكن ذلك إلا بعد تمجيد الله في كل الصلوات السابقة.

---

(١) الترمذي: أبواب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر (٤٦٤) وقال: هذا حديث حسن. وأبو داود (١٤٢٥)، والنسائي (١٤٤٢)، وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد (١٧١٨)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. وقال ابن الملقن: هذا الحديث صحيح. انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير٦٣٠/٣، وقال النووي: رواه الثلاثة (أبو داود والترمذي والنسائي) بإسناد صحيح. انظر: خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعدالإسلام ٤٥٥/١.

صيامي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هو«رمضاني الأخير» لحرصت على الحفاظ على صيامي من أن ينقصه شيء؛ فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.. بل أحتسب كل لحظة من لحظاته في سبيل الله، فأنا أجاهد نفسي والشيطان والدنيا بهذا الصيام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(1)
والله جل وعلا اختص الصيام من بين العبادات بأنه له سبحانه، وهو الذي يجزي عنه؛ فعن أبي هريرة ه أنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «قال الله:كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي،وأنا أجزي به (٢)

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، (٣٨) عن أبي هريرة، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، (٦٠ ٧) .
(٢) البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول أني صائم إذا شتم، (١٨٠٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (١١٥).

وقد وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كيفية الالتزام بالصيام وأدائه على خير وجه؛ فعن أبي هريرة ه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة؛ فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين؛ والذي نفسي بيده! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»(1)
وألمح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النعيم المقيم المعد للصائمين؛ فعن النبي ييي أنه قال: «إن في الجنة بابا

يقال له: الريان. يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذ دخلو أغلق فلم يدخل منه أحد (٢)

---

(١) البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (١٧٩٥).
(٢) البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، (١٧٩٧) عن سهل بن سعد، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (٢ ه ١١) .

وحذرنا صلى الله عليه وسلم أشد التحذير من الاقتراب من المعاصي في هذا الشهر، وأنها تحبط العمل؛ فعن أبي هريرة عليه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(1)
وقد حرص الصالحون على القيام بالصيام على أفضل وجه من أجل رضوان الله تعالى؛ فها هو الأحنف بن قيس يقال له: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يضعفك. فقال: إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه (٢).
ومر الحسن البصري بقوم وهم يضحكون فقال: إن الله ا جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون. أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك .

---

(١) البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، (١٨٠٤)، والترمذي (٧٠٧)، وأبوداود (٢٣٦٢)،

والنسائي (٣٢٤٥)، وابن ماجه (١٦٨٩)، وأحمد (٩٨٣٨).
(٢)أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢٣٦/١.

والناس في صيام رمضان مراتب، ليسوا على درجة واحدة؛ فمنهم من يكتفي بأن يمتنع عن الطعام والشراب والشهوة، وهذه هي غاية صيامه، وهناك درجة أعلى يرتقي إليها البعض بأن يمنعوا جوارحهم -كالسمع والبصر واللسان واليد والرجل- عن ارتكاب المعاصي، ويوظفونها في الطاعة.
أما الدرجة العليا التي يسمو إليها الندرة من المسلمين، فهم الذين ينشغلون كلية بقلوبهم وعقولهم بطاعة الله عز وجل؛ فلا يهم قلبهم الانشغال بالدنيا، ولا يتطرق العقل لمعصية ولا لمتاع يشغله عن طاعة الله تعالى وذكره.

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢٣٦/١.

قيامي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هورمضاني الأخير لحرصت على صلاة القيام في مسجد يمتعني فيه القارئ بآيات الله عز وجل؛ فيتجول بين صفحات المصحف من أوله إلى آخره.. وأنا أتدبر معه وأتفهم.. راغبا في فضل الله تعالى بمغفرة الذنوب؛ فعن أبي هريرة ه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» .طامعا في عطاء الله تعالى؛ فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الليل ساعه لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه (٢).

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، (٣٧)، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، (٥ ١٩٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، (٩ ٥ ٧).

(٢) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، (٧٥٧)، ومسند أحمد (١٤٧٨٨).

بل إنني في رمضان شهر القرآن أعود بعد صلاة القيام الطويلة إلى بيتي مشتاقاً إلى كلام ربي عز وجل، فأفتح المصحف وأستزيد، وأصلي التهجد وأستزيد، وبين الفجر والشروق أستزيد.. إنه كلام ربي.. وأنا على تقصيري أحاول أن أقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين من بعده؛ فقد روى المغيرة رضي الله عنه يقول: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا»(١).

كما كان الصالحون من الصحابة وتابعيهم بإحسان يفعلون ويجتهدون؛ فقد كان ابن مسعود ه إذا هدأت العيون قام فيسمع

له دوي كدوي النحل حتى يصبح . ويقال: إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة، فقال: إن الحمارإذا زيد في علفه زيد في عمله. فقام تلك الليلة حتى أصبح. وكان طاووس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة

---

(١) البخاري: أبواب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه، (١٠٧٨)، ومسلم: كتاب صفة القيام الجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة،(٢٨١٩)٠
(٢)أبوحامد الغزالي:إحياء علوم الدين، ٣٥٥/١.

ثم يثب ويصلي إلى الصباح، ثم يقول: طيرذكرجهنم نوم العابدين(١). .
وقال الربيع: بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا. وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض. وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل، فمر بقوم، فقالوا: إن هذا يحيي الليل كله. فقال: إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل. فكان بعد ذلك يحيي الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش بالليل. ويقال: إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..) [الجاثية: ١ ٢]ي وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء، ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة، فجعل يقول: حرم شيبة مالك على النار،

---

(١) أحمد بن علي المقريزي: مختصر قيام الليل للمروزي، حديث أكادمي، فيصل أباد - باكستان، ط١:١٤٠٨ ه =١٩٨٨ م، ص ٧٠، وأبو حامد الغزالي: إحياءعلوم الدين، ٣٥٥/١.

إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك. فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر(1).
وقال الحسن البصري رحمه الله: ما نعلم عملأ أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال. فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم نورا من نوره(2) .
فلوعلمت أن هذا رمضاني الأخير لاجتهدت في التماس هذا النور الذي أفاضه الله عز وجل على عباده المقيمين لليل.
والحريص على قيام الليل في رمضانه الأخير لا يتغافل عنه طلبا للراحة؛ فالراحة الحقيقية في النعيم المقيم في الجنة؛ فقد قدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش، فنام عليه حتى فاته ورده (من قيام الليل)، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا،

---

(١)أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣٥٥/١.
(٢) مختصر قيام الليل للمروزي ص٥٨، وأبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٥٥/١ ٣، وابن الجوزي: آداب الحسن البصري، تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر، ط٣: ١٤٢٨ه=٢٠٠٧م، ص٣٤.

وكان عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمرر يده عليه، ويقول: إنك للين، ووالله إن في الجنة لألين مذك. ولا يزال يصلي الليل كله(١).
وقال مالك بن دينار: سهوت ليلة عن وردي ونمت، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة، فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم. فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها:
أألهتك اللذائذ والأماني   عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها   وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقرآن
وسأداوم -بإذن الله- على القيام ولو بآية واحدة؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة، فقام باية

---

(١)أبوحامد الغزالي: إحياءعلوم الدين، ٣٥٥/١
(٢) أبو محمد الخلدي: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا - مصر، ط١٤٠٩:١ هح١٩٨٩ م، ص٢٥، وأبو حامد الغزالي: إحياء علوم,الدين، ٣٥٥/١٠

لا يظلم قلبي، وأحرم لذة القيام؛ فعن الحسن البصري قال: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل . وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك.
ولكن لو وقعت في الذنب -وكلنا خطاء- فلن أيأس، وسأجتهد في القيام؛ فقد كان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله، فإذا كان في السحر قال: إلهي ليس مثلي يطلب الجنة، ولكن أجرني برحمتك من النار(٢)

---

(١) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ٣٥٥/١، وابن الجوزي: آداب الحسن البصري ص ٣٠.
(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ٣٥٥/١.

قراءتي للقرآن في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هو رمضاني الأخير لأكثرت من تلاوة القرآن الكريم، ولختمت القرآن أكثر من مرة، ولكنها قراءة تختلف عن كل قراءة سبقتها؛ فستكون قراءة خاشعة متدبرة، أقف فيها بعقلي و قلبي عند كل آية، لأفهم معناها، ولأترك لها العنان لتغزو قلبي بما فيها من معان، وأترك الفرصة لقلبي وعقلي كي يتشرب معانيها وهدايتها.
سأقرأ القرآن لأنال الثواب العظيم من رب العالمين يوم القيامة؛ فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها(١).
وسأحرص على حضور مجالس القرآن في المساجد، والاجتماع على تلاوته وتدارس معانيه وأحكامه؛ فالثواب جزيل، والعطاء كبير

---

(١) الترمذي: كتاب فضائل القرآن (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.وأبوداود(١٦٤)،وأحمد(٦٧٩٩)،وابن حبان(٧٦٦)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده... (1)
سأقرأً آيات الله عز وجل وأعيش معها، وكأن الله تعالى يخاطبني أنا؛ فيتأثر قلبي بحسب اختلاف الآيات؛ فيكون لي

بحسب كل فهم حال من الحزن والخوف والرجاء أقرأ وأبكي كما كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يفتح المصحف ويضعه فوق عينيه ويبكي، ويقول: كلام ربي.. كلام ربي(٢).
سأتدبر الآيات، وأستشعر وقعها على قلبي كما كان الفاروق عمر رضي الله عنه يفعل؛ فذات مرة قرأ عمر رضي الله عنه :

---

(١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجه(٢٢٥،وأحمد(٧٤٢١).
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣٢٠/١٠.

(إذا الشمس كورت...) وانتهى إلى قوله تعالى: (وإذا الصحف نشرت) [التكوير: . ١]، فخر مغشياً عليه(1).
وقد مر يوما رضي الله عنه بدار رجل وهو يصلي ويقرأ سورة (والطور)، فوقف يستمع، فلما بلغ قوله تعالى: (إن عذاب ربك لواقع *ما له من دافع) (الطور ٧، ٨]، نزل عن حماره واستند إلى حائط، ومكث زمانا ورجع إلى منزله، فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه)(2).
وسأجتهد أن أركز في تدبر معاني الآيات، ولو قلت قراءتي؛ كما قال بعض الصالحين: إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر. وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثوابا-
وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: أني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.

---

(١) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ١٨٤/٤ .
(٢)انظرالقصةعند:ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،٤٣٠/٧،والسيوطي: الدر المنثور، ٦٣١/٧، وأبو حامد

الغزالي : إحياء علوم الدين ١٨٤/٤.

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها، وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد. وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه عن المعاني .

---

(١) أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١٤٢٦:٢هـ 2005م، وأبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢٨٢/١.

صدقتي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هو رمضاني الأخير ما كنزت المال لنفسي أو لورثتي، بل نظرت إلى ما ينفعني عند ربي، ولبحثت بكل طاقتي عن فقير محتاج، أو طالب علم مسكين، أو شاب يطلب العفاف ولا يستطيعه، أو مسلم في ضائقة؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته،ومن فرج عن مسلم كربة فرج اله عنه كربة من كربات يؤم القيامة، ومن سترمسلما ستره اله يوم القيامة»(1)
أو أبحث عن غير هؤلاء من أصناف المحتاجين والملهوفين..
ولوقفت إلى جوار هؤلاء بمالي ولو كان قليلاً، فهذا هو الذي يبقى لي، أما الذي أحتفظ به فهو الذي يفنى؛

---

(١) البخاري: كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (٢٣١٠)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٢٥٨٠.)

فعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بقي منها؟». قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: (بقي كلها غير كتفها)(١).
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان أجود الناس، بل كان كما يصفه ابن عباس بقوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة (2)
ولو كان هذا هو رمضاني الأخير فلن أفكر فيما أخرجته، وأحسبه، وهل ينقص من مالي أم لا؛ فقد قال صلى الله عليه

وسلم: «ما نقصت صدقة من مال....»).

---

(١) الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح. وأحمد (٢٤٢٨٦)، وقال: شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.
(٢) البخاري: كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان، (١٨٠٣)،ومسلم:كتاب الفضائل، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح، (2308)
(٣) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (٢٥٨٨)عن أبي هريرة، والترمذي (٢٠٢٩)، وأحد (٧٢٠٥).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم (لاتوكي (1) فيوكي عليك) وقال لا تحصي (2) فيحصي الله عليك (3).
وسأراعي أن تكون الصدقة من أفضل ما أحب؛ كما قال تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مماً تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) [آل عمران ٩٢]؛ فكما أحب أن آكل أطعم المحتاجين من الطعام نفسه، وكما ألبس أكسوهم وأبناءهم.
وسأستشعر دائما أنني أجيب داعي الله صلى الله عليه وسلم الذي طلب مني القرض؛ فقد قال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) [البقرة: ٢٤٥].

---

(١) لا توكي: لا تدخري وتمنعي ما في يدك، من الوكاء وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة. ابن حجر: فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ه، ٢٠٦/١٠.

(٢)لا تحصي: من الإحصاء، وهو معرفة قدر الشيء أو وزنه أو عده، والمعنى لا تحصي ما تنفقين حتى لا تستكثريه فربما امتنعت من الإنفاق. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت،ط٢: ١٣٩٢ ه، ١١٩/٧.
(٣) البخاري: كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، (١٣٦٦) واللفظ له، ومسلم: كتاب الزكاة، باب الحث في الإنفاق وكراهةالإحصاء،(١٠٢٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آل عمران: ٢٩٢، و(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) [البقرة: ٤٥ ٢]. قال أبو طلحة: يا رسول الله؛ حائطي الذي بمكان كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها. فقال: «اجعله في فقراء أهلك»(١).
وسأراعي في صدقتي أن تكون في السر، أما الزكاة فسأجعلها جهرا لأنها فريضة؛ فالله تعالى يقول: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفرعنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير)البقرة ٢٧١.
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ...) (2)

---

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة عل الأقربين والزوج والأولاد والوالدين. .. (٩٩٨)، ومسند أحمد (١٢١٦٥) واللفظ له، وأبو يعلى(٣٧٣٢)،والبيهقي: لسنن لكبرى (١٢٤٢٧).
(٢) البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، (١٣٥٧) عن أبي هريرة، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (١٠٣١).

وفي نهاية رمضان سأخرج زكاة الفطر؛ التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بها؛ فعن ابن عمررضي الله عنه قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر، أؤ صاعا من شعير على العبد والحر، والذكر والانثى، والصغبر والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»(١).

---

(١) البخاري: أبواب صدقة الفطر، باب فرض صدقة الفطر، (١٤٣٢)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير، (٩٨٤)، و(٩٨٦).

رحمي في رمضان

ولو أني أعلم أن هذا هو رمضاني الأخير لوصلت رحمي، واجتهدت في ذلك حتى لم أدع قريبا لي إلا وصلته، وقمت بزيارته، ولم أقتصر على الاتصالات الهاتفية؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»(1). وأنا أريد من الله ٠ أن يصلني ويرحمني وسأبحث عن المرضى منهم وأعودهم؛ فإن الله يكون عندهم؛ فعن أبي هريرة عله أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة؛ يا بن آدم؛ مرضت فلم تعدني. قال: يا رب؛ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده .

---

(١) البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، (٥٩٨٩)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٢٥٥٥)، واللفظ له.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حريص على صلة الرحم؛ فيستأذن ربه ليستغفر لأمه ويزورها في قبرها؛ فعن أبي هريرة في أنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «استأذنت ربي أن أشتغفر لأمي فلم يأذن لي، واشتأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»(٢).
وسأبحث عن المحتاجين من أقاربي؛ فأساعدهم بمالي؛ فعن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صدقةوصلة»(٣).

ولا يمنعني من تلك الصلة أن هناك من يقطعني؛ فسأذهب إليه وأصله، ومن أخطأت في حقه سأعتذر له رحمة بنفسي من عذاب الله

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، (٢٥٦٩)، ابن حبان(٢٦٩).
(٢) مسلم: كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، (٩٧٦),
(٣) الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (٦٥٨)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٢٣٦٣)، وابن ماجه (١٨٤٤)، وأحمد (١٦٢).

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذاقطعت رحمه وصلها)(١).
وكما أهتم بوالدي في حياتهما، سأصل رحمهما من بعد موتهما؛ فعن عبد الله بن عمر أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب؛ وإنهم يرضون باليسير. فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»(2) .
وقد حرص الصحابة على صلة الرحم بكل سبيل؛ فعن سعدى بنت عوف المرية(3) قالت: دخل علي طلحة بن عبيد

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، (٥٦٤٥)، والترمذي (١٩٠٨)، وأبو داود (١٦٩٧)، وأحد (٦٥٢٤).
(٢) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، (٢٥٥٢)، وأبو داود (٥١٤٣)، وأحمد (٥٦٥٣).

(٣) سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية، امرأة طلحة بن عبيد الله، لها صحبة.

الله يوما وهو خاثر 0(1) ، فقلت له: ما لك؟ لعلك رابك من أهلك شيء فنعتبك . فقال: لا والله، ونعم خليلة المرء المسلم، ولكن مال عندي قد غمني. فقلت: ما يغمك، عليك بقومك. قال: يا غلام؛ ادع لي قومي. يعني فقسمه بينهم، فسألت الخازن كم أعطى، فقال: أربعمائة ألف(4) .

وقد جاءه ذات مرة رجل وسأله برحم؛ فقال: ما سئلت بهذا الرحم قط قبل اليوم، وقد بعت لي حائطاً بسبعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار؛ فإن شئت ارتجعته وأعطيتك، وإن شئت أعطيتك ثمنه(5) .

---

(١) خاثر النفس؛ أي: ثقيلها غير طيب ولا نشيط. ابن منظور: لسان العرب، مادة(خثر،٢٣٠/٤.

(٢) ما رابك من أمر؛ أي: جعلت فيه التهمة والظن. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ريب)، ٤٤١/١.

(٣) نعتبك؛ أي: نرضيك. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عتب)، ٥١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة واسر والتوزى، ١٤١٥ه = ه ١٩٩ م، ه ١٠٠/٢ ، ١٠١ .

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥ ٢/ ١٠٠ .

اعتكافي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هو رمضاني الأخير لحرصت على الاعتكاف في المسجد آخر عشرين يوما من رمضان، أو على الأقل آخر عشرة أيام؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخرمن رمضان»(1) .

ولكن في العام الذي قبض فيه الرسول صلى الله عليه وسلم اعتكف العشرين يوما الأخيرة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما»(٢)

ولن أحرم زوجتي من ثواب الاعتكاف لو أرادت وتوافر المكان في المسجد؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها، (١٩٢١)، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، (١١٧١).

(٢) البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان،(١٣٩)،وأبوداود(٢٤٦٦)، وابن ماجه(١٧٦٩).

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان، وإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه». فاستأذنته عائشة أن تعتكف فأذن لها، فضربت فيه قبة، فسمعت بها حفصة فضربت قبة، وسمعت زينب بها فضربت قبة أخرى.(1)

وسأكون حريصا على أن أجتهد في العشر الأواخر في العبادة أكثر مما سبق من أيام رمضان، فقد قالت عائشة رضي الله

عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»(٢).
وسأدعو أهلي إلى المشاركة في الطاعة والاجتهاد فيها؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

---

(١) البخاري: كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في شوال، (١٩٣٦)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان،(١١٧٢).
(٢) مسلم: كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، (١١٧٥)، والترمذي (٧٩٦)، والنسائي(٣٣٩٠)، وان ماجه (١٧٦٧)، وأحمد(٢٤٧٢).

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر»(١)
وسألتزم بآداب الاعتكاف؛ فأترك الدنيا خلفي، ولا أنشغل إلا بذكر الله ٠، والتدبر في القرآن، والتفكر في نعم الله وقدرته ٠.
وسأكون حريصا على راحة إخواني المعتكفين، وأداء حاجاتهم، وعدم مضايقتهم.

---

(١) البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان،(١٩٢٠)، مسلم: كتاب الاعكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، (١١٧٤) واللفظ له.

توبتي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذا هو رمضاني ا لأخير ما تجرأت على معصية، ولا فتحت الجرائد والمجلات أبحث ملهوفا عن مواعيد التمثيليات والأفلام والبرامج الساقطة.. إن لحظات العمر صارت معدودة، وليس معقولا أن أدمر ما أبنى، وأن أحطم ما أشيد.. هذا صرحي الضخم الذي بنيته في رمضان من صيام وقيام وقرآن وصدقة.. كيف أهدمه بنظرة حرام، أو بكلمة فاسدة، أو بضحكة ماجنة؟!
إنني في رمضاني الأخير لا أقبل بوقت ضائع، ولا بنوم طويل، فكيف أقبل بلحظات معاصي وذنوب، وخطايا وآثام؟! إن هذا ليس من العقل في شيء.
لن أقدم في رمضاني الأخير على مشاهدة التلفاز، أو الانشغال باللهو مع الأصدقاء فيما يشغل عن طاعة الله عز وجل، ولو كان حلالا.

وسواء أذنبت أم لم أذنب فلا بد من أن أتوب إلى الله عز وجل من ذنوبي السابقة؛ فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الاستغفار والتوبة؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : «والله! إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثرمن سبعين مرة(1)
وكان صلى الله عليه وسلم يفعل هذا في كل وقت؛ حتى وهو جالس مع الصحابة؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب على إنك أنت التواب الرحيم:(٢)
ولكن هذه التوبة يجب أن تكون توبة نصوحا؛ كما قال رب العالمين: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها

الأنهار) [التحريم: ٨]. أي: توبة صادقة جازمة لا أعود بعدها إلى الذنب أبدا.

---

(١) البخاري: كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة،
(٥٩٤٨)،والترمذي(٣٢٥)،والنسائي(١٠٢٦٧)،وابن ماجه (٣).
(٢)سنن أبي داود(١٥١٦)، وابن ماجه(٣٨١٤)،وابن حبان (٩٢٧)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني، انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١:١٤٢٤ ه= ٢٠٠٣م، ٢٦٨/٢ .

أمتي في رمضان الأخير

ولو أني أعلم أن هذ رمضاني الأخير ما نسيت أمتي؛ فجراحها كثيرة، وأزماتها عديدة، وكيف أقابل ربي عز وجل ولست مهموما بأمتي؟! فلسطين محاصرة.. والعراق محتلة.. وأفغانستان كذلك.. واضطهاد في الشيشان، وبطش في كشمير، وتفتيت في السودان، وتدمير في الصومال.. ووحوش الأرض تنهش المسلمين.. والمسلمون في غفلة!
ماذا سأقول لربي وأنا أقابله غدا؟!
هل ينفع عندها عذر أنني كنت مشغولاً بمتابعة مباراة رياضية، أو مهموما بأخبار فنية، أو حتى مشغولآ بنفسي وأسرتي!
أين شعور الأمة الواحدة؟!
هل أتداعى بالحمى والسهر لما يحدث من جراح للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟!

وحتى -والله- لو كنت مشغولاً بصلاتي وقيامي، هل يقبل ربي عذري أنني نسيت رجالا تقتل، ونساء تغتصب، وأطفالا تشرد، وديار تدمر، وأراضي تجرف، وحرمات تنتهك؟!
لقد أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقر المسلمين بالفطر وهم يتجهون إلى مكة ليفتحوها بعد خيانة قريش وبني بكر..
إن الصيام يؤخر، والجهاد لايؤخر..
ليس هذا فقهي أو فقهك، إنما هو فقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فليكن عمرنا كله كرمضان الأخير

هكذا يجب أن يكون رمضاني الأخير، بل هكذا يجب أن يكون عمري كله. . وماذا لو عشت بعد رمضان؟! هل أقبل أن يراني الله عز وجل في شوال أو رجب لاهيا ضائعا تافها؟!
وما أروع الوصية التي أوصى بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وهو يودعه في رحلته الجهادية إلى الشام.. قال أبو بكر: «يا أبا عبيدة، اعمل صالحا، وعش مجاهدا، ولتتوف شهيدا» .
يا الله! ما أعظمها من وصية! وما أعمقه من فهم!
فلا يكفي العمل الصالح؛ بل احرص على ذروة سنام الإسلام.. الجهاد في سبيل الله.. في كل ميادين الحياة.. جهاد في المعركة مع أعداء المسلمين..

---

(١) أبو الربيع الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ١١٨/٣.

وجهاد باللسان مع سلطان جائر.. وجهاد بالقرآن مع أصحاب الشبهات.. وجهاد بالدعوة مع الغافلين عن دين الله.. وجهاد للنفس والهوى والشيطان.. وجهاد على الطاعة والعبادة، وجهاد عن المعصية والشهوة.
إنها حياة المجاهد..
وشتان بين من جاهد لحظة ولحظتين، وبين من عاش حياته مجاهدا!
ثم إنه لا يكفي الجهاد!!
بل علينا بالموت شهداء!
وكيف نموت شهداء ونحن لا نختار موعد موتتنا، ولا مكانها، ولا طريقتها؟!
إننا لا نحتاج إلى كثير كلام لشرح هذا المعنى الدقيق، بل يكفي أن نشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتضح

المقصود.. قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(1).

ولتلحظ -أخي المسلم، وأختي المسلمة- كلمة «بصدق» التي ذكرها الرسول العظيم.. فالله مطلع عل قلوبنا، مدرك لنياتنا، عليم بأحوالنا.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (١٩٠٩)، والنسائي(٣١٦٢)،وابن ماجه(٢٧٩٧).

كلمة أخيرة

أمتي الحبيبة..

ليست النائحة كالثكلى!

إننا في رمضاننا الأخير لا نتكلف الطاعة، بل نعلم أن طاعة الرحمن هي سبيلنا إلى الجنة، وأن الله · لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وأننا نحن المستفيدون من عملنا وجهادنا وشهادتنا.

فيا أمتي؛ العمل العمل.. والجهاد الجهاد.. والصدق الصدق! فما بقي من عمر الدنيا أقل مما ذهب منها، والكيس ما دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

وأسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين.

د.راغب السرجاني